

«التضمين» من مصطلحات البلاغة و العروض و النحو

دكتور شمسي واقفزاده

استاديار و عضو هيات علمى دانشگاه آزاد اسلامى واحد ورامين - پيشوا

الملخص

«التضمين» هو مشتركٌ لفظيٌ و يكون موضوعاً لعدة معانى فى العلوم المختلفة و البحث فيه يطول لمن اراد ان يستوفى البحث حقه و الكلام فيه تتنازعه الحقيقة و المجاز، البلاغة و العروض و النحو و ... اما التضمين عند البلاغيين هو: «استعارة الشاعر كلاماً من غيره و ادخاله فى شعره» و عند العروضيين هو «تعلق قافية البيت الاول بالبيت الثانى و اكثرهم يعدونه من عيوب الشعر» و هو فى اصطلاح النحاة: «ان يؤدى فعل او فى معناه فى التعبير مؤدى فعل آخر او ما فى معناه فيعطى حكمه فى التعدى و اللزوم» و اختلف النحاة فيه بين الحقيقة و المجاز و بين القياس و السماع و بين التجوز و غير التجوز.

المفردات الدليلية: التضمين، البلاغة، العروض، النحو.

تمهيد

انَّ المشترك اللفظي يعنى ان لفظاً واحداً يكون موضوعاً لعدة معانى، و كل معنى يغاير المعنى الآخر، كلفظ العين، فهو لفظ واحد موضوع لمعانى عديدة، هى الباصرة، النابعة، الذهب و الفضة، الجاسوس و غيره، فهذا اللفظ يسمى

بالمشترك اللفظي و اذا تغايرت المعانى فى المشترك اللفظي اختلفت و تغايرت المصاديق، كلفظ زيد، فانه يوضع لأفراد و اعلام متعددة بعدد الافراد الموضوع لهم. و من مثل ما نسب الى الخليل ان له ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوى لفظها و يختلف معناها:

يا و يح قلبى من دواعى الهوى	اذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعتهم طرفى و قد أزمعوا	و دمع عينى كفيض الغروب
كانوا و فيهم طفلة حرة	تفتر عن مثل أقاحى الغروب

فالغروب الاول: غروب الشمس، و الثانى: جمع غرب: و هو الدلو العظيمة المملوءة و الثالث: جمع غرب: و هى الوهاد المنخفضة (ينظر: السيوطى، ١٩٨٠ م: ٣٧٦/١) و كذلك الاشتراك يشمل اختلاف الاصطلاح بين أهل الفنون المختلفه، فبعض الألفاظ تجد لها معنى عند الفقهاء و معنى عند اللغويين و معنى عند المحدثين، و... فمثلاً كلمة «التضمين» معناها عند الفقهاء، تحمل الغرم، و معناها عند النحويين، اشراب فعل معنى فعل غيره و معناها عند الأدباء، اقتباس كلام شخص آخر، و معناها عند العروضيين، عدم اكتمال معنى البيت الا بما بعده. و اصل كلمه «التضمين» فى اللغة واحد، و لكن كل اصحاب فن من الفنون يصطلحون بما يرون من الألفاظ على المعانى المتداولة عندهم، فصارت الكلمة مشتركة بهذا الاعتبار.

«التضمين» لغةً و اصطلاحاً

جاء فى الصحاح: «ضمنتُ الشىء ضماناً: كفلت به، فانا ضامن و ضمينٌ و ضمنته الشىء تضميناً فتضمنه عنى، مثل غرمته. و كل شىء جعلته فى و عاء فقد ضمنته اياه» (الجوهري، ١٩٩٠ م: ٥/٦)

و يقول ابن فارس: «هو جعل الشيء في شيءٍ يحويه. من ذلك قولهم ضمّنت الشيء، اذا جعلته في وعائه. و الكفالة تسمى ضماناً من هذا؛ لأنّه كانه اذا ضمنه فقد استوعب ذمّته و المضامين: ما في بطون الحوامل» (ابن فارس، ٢٠٠٢ م: ٣/٣٧٢)

و جاء في اللسان: «الضمين الكفيل ضمن الشيء و به ضمناً كفل به ضمّنه إياه كفلّه ... و ضمن الشيء الشيء أودعه اياه كما تودع الوعاء المتاع و الميت القبر و قد تضمّنه هو.» (ابن منظور، ١٤١٤ هـ: ١٣/٢٥٧)

اما بالنسبة للمعنى الاصطلاحى، هذا المصطلح يوجد فى علوم شتى من البديع و العروض و النحو و فى كل هذه العلوم يجد حداً خاصاً حيث يفرقه عن العلم الآخر.

التضمين البلاغى

اشتق البلاغيون من الاقتباس أربعة فروع و هى: التضمين، العقد، الحل و التلميح. الفرع الاول: «التضمين» و منه «الاستعانة» و «الایداع» و «الرّفو» يقول الجرجانى: «تضمين الشاعر شعره من شعر غيره، فان كان المأخوذ بيتاً أو اكثر، سمي استعانة و إن كان مصراعاً فما دونه ، سمي ايداعاً أو رفواً» (الجرجانى، لا تا : ٣١٧) و قيل التضمين على حالتين: فاذا بلغ مقداره تضمين بيتٍ فاكثر، فقد يطلق عليه لفظ «الاستعانة» و اذا كان مقداره شطر بيتٍ اودونه، فقد يطلق عليه «الایداع» اذا الشاعر قد أودع شعره شيئاً من شعر غيره و قد يطلق عليه «الرّفو» لأنّ الشاعر «رفا» خرق شعره بشيءٍ من شعر غيره. و جاء فى تلخيص المفتاح: «هو ان يضمن الشاعر شيئاً من شعر الآخرين مع التنبيه عليه ان لم يكن مشهوراً عند البلغاء» (القزوينى، ١٣٧٨ ش: ٢٠١)

و من هذا التضمين قول الحريرى:

على انى سأنشد عند بيعى
الشطرا الأخير لأمية بن ابى صلت:
أضاعونى و اى فتى أضاعوا
ليوم كرية و سداد ثغر

و قد نبه الحريرى على التضمين بقوله «سانشد» (ينظر: المصدر نفسه)
قال ابن الاثير: «الضرب الثانى من التضمين و هو أن يضمن الشاعر شعره و
النثر نثره كلاماً آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود و لو لم
يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاماً و ربما ضمن الشاعر البيت من شعره
بنصف بيت أو أقل منه كما قال جحظة:

قم فاسقنيها يا غلام و غننى
«ذهب الذين يعاش فى اكنافهم»

الا ترى انه لو لم يقل فى هذا البيت «ذهب الذين يعاش اكنافهم» لكان
المعنى تاماً لا يحتاج الى شىء آخر فإنه قوله (قم فاسقنيها يا غلام و غننى) فيه
كفاية اذ لا حاجة له الى تعيين الغناء لأن فى ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا
على الغرض المقصود.» (ابن الاثير، ١٩٩٥ م ٣٢٨/٢)

و عرفه ابن حجة الحموى: «الايديع الذى نحن بصدده هو ان يودع الناظم
شعره بيتاً من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد ان يوطىء له توطئة
تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت بأجمعه له و أحسن الايديع
ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول و يجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل
عجزه صدرأ أو صدره عجزاً و قد تحذف صدور قصيدة بكما لها و ينظم لها
المودع صدوراً لغرض اختاره و بالعكس و قد تقدّم و تقرر ان الأحسن فى هذا
الباب ان يصرف الشاعر ما اودعه فى شعره عن معناه الذى قصد صاحبه الأول و
يجوز تضمين البيتين بشرط ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة
أخرى» (الحموى، ابن حجة، ١٩٨٧ م: ٣١١/٢)

اما ابن ابى الأصعب اختلف فى تحديد التضمين سائر العلماء الذين ذكرنا، قائلاً

في باب حسن التضمين: «و هو أن يضمن المتكلم كلامه، كلمة من البيت أو من آية أو معنى مجرداً من كلام، أو مثلاً سائراً أو جملة مفيدة أو فقرة من حكمة» (ابن ابي الأصبغ، ١٩٩٥م: ١٤) و هو قريبٌ بتعريف «الاقْتَباس» فعرفه القزويني: «هو ان يضمن الكلام شيئاً من القرآن و الحديث لاعلى انه منه» (القزويني، ١٣٧٨ش: ٢٠١)

و مثل له بقول ابي القاسم بن الحسن الكاتبى:

ان كنت ازمعت على هجرها من غير ما جرم «فصبرٌ جميلٌ»

(يوسف/١٨)

و ان تبدلت بنا غيرنا «فحسبنا الله و نعم الوكيل»

(آل عمران/٧٣)

و لكن جاء في «التحبير» الامثال المتعددة من النثر و الشعر في باب حسن التضمين و منها: قول على عليه السلام في جواب كتاب لمعاويه (نهج البلاغه، كتاب ٢٨): «و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز بين المهاجرين الأولين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم، هيهات (لقد حنَّ قدحٌ ليس منها) و طفق يحكم فيها من عليه الحكم له» فضمن كلامه هذا المثل العربي و هو قوله «لقد حنَّ قدح ليس منها» و كقوله في آخر هذا الكتاب: «و انى مرقلٌ نحوك بجحفل من المهاجرين و الانصار و التابعين لهم باحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم متسربلين سراويل الموت، أحبُّ اللقاء اليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريةً بدريةً، و سيوفٌ هاشمية عرفت مواقع نصالها في اخيك و خالك و جدك (و ما هي من الظالمين ببعيد) (هود/٨٣) فضمن كلامه هذه الآيه.

و من لطيف التضمين في الشعر قول ابي تمام طويل:

لعمرو مع الرمضاء و النار تلتظى أرق و أحفى منك فى ساعة الكرب

فضمن بيته كلمات من البيت المشهور و هو بسيط:

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
 فى الكتاب العزيز من هذا الباب ما حكاه فيه سبحانه من صفة النبىّ صلى
 الله عليه و سلم و أصحابه و ذلك قوله «محمدٌ رسول الله» الى قوله: «ذلك
 مثلهم فى التوراة و مثلهم فى الانجيل» فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين
 الأولين.» (ينظر، ابن ابى الاصبع، ١٩٩٥م: ١٥)

«النويرى» وافق ابن ابى الاصبع فى حد التضمنين قائلاً: «و اما حسن
 التضمنين فهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو حديث أو مثل سائر او
 بيت شعر؛ و من انشادات ابن المعتز عليه:

عوذ لما بت ضيفاً له أقراصه منى بياسين
 فبت و الأرض فراشى و قد غنت قفا نيك مصارينى

فضمن بيته الأول كلمة من السورة بتوطئة حسنة و بيته الثانى مطلع قصيدة
 امرى القيس. و منه قول «الغزى»:

طول حياة ما لها طائل نغص عندى كل ما يشتهى
 أصبحت مثل الطفل فى ضعفه تشابه المبدأ و المنتهى
 فلاتلم سمعى اذا خائنى «ان الثمانين و بلغتها»

المراد من التضمنين ها هنا تمام البيت: «قد أحوجت سمعى الى ترجمان» و
 انما تركه لأن اول البيت يدل عليه لاشتهاره. (ينظر، النويرى، ٢٠٠٤م: ١٠٤/٧) اما
 «الايدياع» فعرفه النويرى فقال: «و اكثر الناس يجعلونه من باب التضمنين، و هو
 منه الا أنه مخصوصٌ بالثر، و بأن يكون المودع نصف بيت، اما صدرأ أو عجزأ
 فمنه قول على (ع) فى جواب كتاب لمعاوية: «ثم زعمت أنى لكل الخلفاء
 حسدت و على كلهم بغيت، فان يكن ذلك كلك فلم تكن الجناية عليك، حتى
 تكون المعذرة اليك «و تلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها». (النويرى، ٢٠٠٤م:

اما التضمين فى العروض

قد حدده قدامة بن جعفر فى حديثه عن عيوب ائتلاف المعنى و الوزن معاً فى القسم الثانى تحديداً يذكر التضمين، و المسمى «المبتور» «و هو أن يطول المعنى عن أن يحمل العروض تمامه فى بيت واحد فيقطعه بالقافية و يتمه فى البيت الثانى» (قدامة بن جعفر، ١٩٧٨م: ٢٠٧)

و قد عرفه ابو هلال العسكري «أن يكون الفصل الأول مفتقراً الى الفصل الثانى و البيت الأول محتاجاً الى البيت الأخير» (العسكري، ابوهلال، ١٩٨١م: ٤٧) و جاء فى العمده لابن رشيق «و التضمين: أن تتعلق القافية او لفظه مما قبلها بما بعدها.» (ينظر: القيروانى، ١٩٨١م: ١٧١)

كقول النابغة الذبياني:

وَهُمْ وَرَدُوا الْجَفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَ هُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عَكَاظِ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مُوَاطِنَ صَالِحَاتٍ وَ ثَقَّتْ لَهُمْ بِحَسَنِ الظَّنِّ مَنِي

(ذبياني، نابغه، ١٩٣٦م: ١٢٢)

و قال السيوطى «التضمين أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثانى» (السيوطى، ٢٠٠٤م: ١١٦)

من روائع التضمين العروضى الأبيات المنسوبة لعمر بن ابى ربيعة:

يا ذا الذى فى الحُبِّ يَلْحَىٰ اِما تخشى عقاب الله فىنا أَمَا
تَعْلَمُ اِنَ الحَبِّ دَاءٌ اِما و الله لو حَمَلت منه كَمَا
حَمَلت من حَبِّ رَخيْمٍ لَمَا لمت على الحَبِّ فذرني و ما
أَطْلَبُ اِنى لست أدرى بِما قتلت الا أَننى بينما
أنا بِباب القصر فى بعض ما أطلب من قصرهم اذ رمى
شبهُ غزالٍ بِسَهَامٍ فَمَا أخطأ سَهْمَاهُ و لكنَّما
عِينَاهُ سَهْمَانٌ لَهُ كَلِّمَا أراد قتلى بهما سَلِّمَا

(عمر بن ابى ربيعة، ١٣٨٤ هـ: ٥٠٠)

«قيل التضمين العروضى هو يدل على العجز الشاعر عن عدم امكانه المجيء بالمعنى تاماً فى كامل وزن البيت الواحد معتبراً ذلك خلافاً واضحاً مما سماه، عدم ائتلاف المعنى و الوزن معاً و قيل ان التضمين عامل من عوامل تحطيم وحدة البيت و استقلاليتته اللذين كانا ينظر اليهما بعين الاجلال و الاحترام، و أدركوا تملل الشعراء من هذا و لكن لم ينظر الى هذه المحاولة بعين الاحترام بل اعتبرت تجاوزاً و خرقاً». (احمد الغزاه، ١٤٢٨هـ: ٤٨٢)

ففى هذا النوع من التضمين نظر «بين حسن يكتب به الكلام طلاوة و بين معيب عند قوم و هو عندهم معدود من عيوب الشعر فأما الحسن الذى يكتب به الكلام طلاوة فهو: أن يضمن الآيات و الأخبار النبوية، ... و أما المعيب عند قوم فهو تضمين الاسناد و ذلك يقع فى بيتين من الشعر و فصلين من الكلام المنثور على ان يكون الاول بنفسه و لا يتم معناه الا بالثانى و هذا هو المعدود من عيوب الشعر و هو عندى غير معيب لأنه ان كان سبب عيبه ان يعلق البيت الاول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيباً اذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق احدهما بالآخر و بين الفرقتين من الكلام المنثور فى تعلق أحدهما بالآخرى لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى و الكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى فالفرق بينهما يقع فى الوزن لاغير ... و قد استعملته العرب كثيراً و ورد فى شعر فحول شعرائهم فمن ذلك قول امرئ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه و أردف أعجازاً و ناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل ألا انجلى بصبح و ما الاصبح منك بأمثل»

(ابن اثير، ١٩٩٥، ٣٢٤/٢)

و من الذين عدوا التضمين العروضى عيباً هو ابن رشيق و قال: «كلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثانى بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين» (القيروانى، ١٩٨١م: ١٧١)

التضمين العروضى عنده نوعان: العيب السهل الذى يمكن فى المسافة الكبيرة بين اللفظة فى البيت الأول، و ما يفصلها عنه فى البيت الثانى، يستوجب هذا أنه اذا كانت الكلمة (اللفظة المتعلقة بالبيت الثانى) قريبة، كان التضمين اكثر و اصعب عيباً». (ينظر: احمد العزام، ١٤٢٨هـ: ٤٨٤)

و قال «الخفاجى» فى كتابه سر الفصاحة: «و من عيوب القوافى ان يتم البيت و لاتتم الكلمة التى فيها القافية حتى يكون تمامها فى البيت الثانى» (الخفاجى، ١٤٠٢هـ: ١٨٧)

و قد جاء فى المفتاح للسكاكى: «و أما التضمين المعدود فى العيوب و هو تعلق معنى آخر البيت بأول البيت الذى يليه» (السكاكى، ١٩٣٧م: ٢٧٣) «قال ابن سيد: و ليس ذلك بعيب عند الأخفش و قال ابن جنى: هذا الذى رواه أبو الحسن من ان التضمين ليس بعيب، مذهب تراه العرب و تستجيزه، و لم يعب فيه مذهبهم من وجهين: أحدهما السّماع و الآخر: القياس، أما السماع فلكثرة ما يرد عنهم من التضمين، و أما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعاً دلّت به على جواز التضمين» (الزبيدي، ١٩٩٤م: ٣٣٤/٣٥) اما العيب الذى سماه العسكرى «التضمين» و سماه قدامة بن جعفر المبتور و...، مرجع هذا العيب فى نظرهم ان نقاد الشعر العربى قد درجوا على ان وحدة الشعر هى وحدة البيت، لاوحدة القصيدة و لهذا عدوا احتياج الى البيت الى ما بعده ليتم معناه عيباً من العيوب التى يجب على الشاعر المجيد ان يتجنبها... و هذا الاعتبار لا يخفى فساده لأن القصيدة ينبغى ان تكون وحدة متماسكة و الحكم على الشعر و الشاعر بيت واحد لا يخلو من ظلم و تعسف. (ينظر: طبانه، لاتا: ٢٩٨)

و اما التضمين النحوى

هو فى اصطلاح النحاة يدور حول المعنى اللغوى، اذ يعرفه السيوطى بقوله: «التضمين و هو اعطاء الشى معنى الشىء» (السيوطى، ١٤٠٧هـ: ٢٧٤ و الزركشى،

١٣٩١ هـ: ٣/٣٣٨) و يقول ابن هشام: «قد يشربون لفظاً معنى لفظاً آخر فيعطونه حكمه». (ابن هشام، ١٩٨٥م: ٨٩٧) و «فائدة التضمين ان يدل بكلمة واحدة على معنى كلمتين» (المصدر نفسه: ٦٨٧) يقول الشريف الجرجاني: «أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي، و يلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه، و يدل عليه بذكر شيء من متعلقاته» (الشريف الجرجاني، ١٣٩٢ هـ: ١/١٢٤)

و جاء في حاشية الصبان: «هو اشراب كلمة معنى اخرى بحيث تؤدي المعنيين فيكون مقابل الظاهر التضمين البياني و هو تقدير حال تناسب الحرف لأننا نمنع كون التضمين النحوي ظاهراً عن البياني للخلاف في كون النحوي قياسياً و ان كان الأكثرون على أنه قياسى كما فى ارتشاف ابى حيان دون البياني فاعرفه» (الصبان، ١٤١٧ هـ: ١/٢٠) يرى بعض العلماء: ان التضمين النحوي من ابواب المجاز و ليس من باب الحقيقة، و منهم: السيوطى يقول: «و انما كان التضمين مجازاً لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة و المجاز معاً و الجمع بينهما مجاز» (السيوطى، ١٤٠٧ هـ: ٣/٢٧٠) و يقول ابن السيد: «اعلم ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر و كان احدهما يتعدى بحرف جرّ و الثانى بحرف جرّ آخر، فان العرب قد تتسع فتوقع احد الحرفين موقع الآخر، مجازاً و ايداناً بأن هذا الفعل فى معنى الآخر» (البطليوسى، ١٩٨١م: ٢/٢٤٥) ابوالبقاء يرى ان «التضمين هو أن يستعمل اللفظ فى معناه الاصلى و هو المقصود اصالةً لكن قصد تبعيته معنى آخر يناسبه من غير ان يستعمل فيه ذلك اللفظ او يقدر له لفظ آخر فلا يكون التضمين من باب الكناية و لامن باب الاضمار بل من قبيل الحقيقة التى قصد بمعناه الحقيقى معنى آخر يناسبه و يتبعه فى الارادة» (الكفومى، ١٩٩٨م: ٤٠٤) و وافقه الزمخشري و الشريف الجرجاني و سعدالدين التفتازانى (ينظر: الزمخشري، ١٤٠٧ هـ: ١/١٢٤) قائلاً أنه من باب الحقيقة، و ليس فيه مجازاً، لأن كلاً من المعنيين مقصود لذاته، بخلاف المجاز الذى يكون القصد فيه لازم المعنى.

و منهم من يرى فيه جمعاً بين الحقيقة و المجاز و عليه الزركشى فى كتابه البرهان فى علوم القرآن. (ينظر: الزركشى، ١٣٩١ هـ: ٣٣٨/٣)

و كما اختلفوا فيه بين الحقيقة و المجاز، تنازعوا كذلك فى قياسية التضمين من عدمها على مذاهب شتى: مذهب البصريين أن التضمين لا يقاس و انما يصار اليه عند الضرورة (ينظر: الكفومى، ١٩٩٨ م: ٢٤/٢) كما قال ابوالبقاء: «التضمين سماعى لا قياسى و انما يذهب اليه عند الضرورة اما اذا امكن اجراء اللفظ على مدلوله فانه يكون اولى» (المصدر نفسه: ٤٠٥) و فريق يرى ان التضمين قياسى (ينظر: الباقلانى، لاتا: ٣٧٢) و مجمع اللغة العربية ايضاً يرى أنه قياسى لاسماعى بشروط ثلاثه:

الاول: تحقيق المناسبة بين الفعلين

الثانى: وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، و يؤمن معها اللبس

الثالث: ملاءمة التضمين للذوق العربى. و يوصى المجمع ألا يلجأ الى التضمين إلا لغرض بلاغى و على كل حال فليس القول بالتضمين هو الاصل فى القرآن و لا فى اللغة، لكنه لأسلم من حيث قلة الاعتراضات عليه. (ينظر: حسن، عباس، ١٩٧٥ م: ٥٥٢)

و التضمين يقع فى ثلاثة ابواب نحويه هي: باب الأسماء المبنية، و باب التعدى و اللزوم، و باب حروف المعانى، كما جاء فى «الاتقان»، التضمين: «يكون فى الحروف و الافعال و الأسماء» (السيوطى، ١٤٠٧ هـ: ٢٧٤/٣)

و يرى ابوالبقاء: «هو نوعٌ من المجاز و لا اختصاص للتضمين بالفعل بل يجرى فى الاسم ايضاً» (الكفومى، ١٩٩٨ م: ٤٠٤) و جاء فى «البرهان»: التضمين «تارة يكون فى الاسماء و فى الأفعال و فى الحروف فاما فى الأسماء فهو ان تضمن اسماً معنى اسم لافادة معنى الاسمين جميعاً كقوله تعالى «حقيقٌ علىّ الا

أقول على الله أُلّا الحق» (اعراف: ١٠٥)، ضمن «حقيق» معنى «حريص» ليفيد أنه محقوق بقول الحق و حريصٌ عليه و أما الأفعال فأن تضمن فعلاً معنى فعلٍ آخر و يكون فيه معنى الفعلين جميعاً و ذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عادته التعدى به فيحتاج اما الى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعديته به» (الزركشى، ١٣٩١ هـ: ٣/٣٣٨)

هناك صور أخرى تحتل التخريج على التضمين من ذلك: (ينظر: ابن سالم الحبشى، ١٤٢٥ هـ: ٦٩)

١- تضمين ما يتعدى الى مفعول بنفسه معنى ما يتعدى بحرف جر، كقوله تعالى: «عينا يشرب بها عبادالله...» (الانسان: ٦)؛ ضُمّن يشرب المتعدى بنفسه معنى «يروى» أو «يلتذّ» المتعدى بوساطة حرف الجر، فأعطى حكمه فى التعدى بالحرف (ينظر: العكبرى؛ ١٩٧٦م: ٢/١٢٥٨)

٢- تضمين ما يتعدى بوساطة حرف جر، معنى ما يتعدى بوساطة حرف جر آخر كقوله تعالى: «و نصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا» (الأنبياء: ٧٧) عدى «نصرناه» بمن و الأصل تعديه بعلى لأنه ضمن معنى خلصناه، أو نجيناه أو أخرجناه أو عصمناه (المصدر نفسه: ٢/٩٢٣)

٣- تضمين ما يتعدى الى مفعول بنفسه معنى آخر مثله فى التعدية، كقوله تعالى: «فأماته الله مائة عام ثم بعثه» (البقره: ٢٥٩) يقول ابن هشام: «ان المتبادر انتصاب مائة بأماته، و ذلك ممتنع مع بقاءه على معناه الوضعى، لأن الإماتة سلب الحياة و هى لا تمتد و الصواب أن يضمّن «أماته» معنى «البثه»، فكأنه قيل: فألبته الله بالموت مائة عام و حينئذ يتعلق الظروف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمين». (ابن هشام، ١٩٨٥م: ٦٨٧)

٤- تضمين ما يتعدى الى المفعول الأول بنفسه و الى الثانى بوساطة حرف الجر، معنى ما يتعدى الى ثلاثة مفعولات، و المشهور من ذلك خمسة افعال؛ نبأ،

أنبأ، حَدَّثَ، أَخْبَرَ، خَبَّرَ، الاصل فيها أن تتعدى الى الثانى بالباء أو بعن، كقوله تعالى: «قال يا آدم أبنتهم بأسمائهم» (البقره: ٣٣) فاذا ضمنت هذه الافعال معنى «اعلم» تعدت الى ثلاثة مفعولات.

فايتان الفعل متعدياً بحرف غير معتادٍ تعدّيه به هي اكثر صور التضمين وروداً و لأجلها، اشتهر الخلاف بين النحويين فى نيابة حروف الجر بعضها مناب بعض: فالأخفش و المبرد و ابن السراج، يقولون باقامة حروف الجر بعضها مقام بعض و هو القول الذى اشتهر عند المتأخرين بأنه قول الكوفيين. (ينظر: البطلبيوسى، ١٩٩٩م: ٣٣٨/١)

و الفراء و الزجاج و ابن جنى و اكثر المتأخرين يقولون: لانيابة بين الحروف، و يضمن الفعل الذى تعدى بحرف جر غير معتاد تعديه به معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف، ان امكن ذلك و الا فهو من وضع احد الحرفين موضع الاخر على سبيل الشذوذ، و هو يقول الذى، اشتهر عند المتأخرين بأنه قول البصريين. (المصدر نفسه)

النتيجه

اصل كلمة «تضمين» فى اللغة واحد، و لكن كل اصحاب فن من الفنون يصطلحون بما يرون من الألفاظ على المعانى المتداولة عندهم فىرى البلاغيون التضمين هو ان يضمن الشاعر شعره شيئاً من كلام غيره، مع التنبيه عليه ان لم يكن مشهوراً عند البلغاء و دون التنبيه عليه ان كان مشهوراً و أحسن التضمين ما زاد على الأصل امرأ حسناً، كتورية أو تشبيهه و ربّما سمي تضمين البيت فما زاد «استعانة» و تضمين المصراع فما دونه تارة ايداع رفواً.

و اما التضمين فى العروض هو أن يبنى بيت على كلام يكون معناه فى بيت يتلوه من بعده مقتضياً له، أو هو أن يكون الفصل الاول مفتقراً الى الفصل الثانى و

البيت الأول محتاجاً الى الأخير؛ نقاد الشعر العربي قد درجوا على ان وحدة الشعر هي وحدة البيت، لاوحدة القصيده و لهذا عدوا احتياج البيت الى ما بعده ليتم معناه، عيباً من العيوب التي يجب على الشاعر ان يتجنبها و هذا الاعتبار لا يخفى فساده لأن القصيده بنبغى ان تكون وحدة متماسكة و الحكم على الشعر و الشاعر بيتاً واحداً لا يخلو من تعسف.

و التضمنين عند النحويين، فن رفيعٌ من فنون الايجاز و بابٌ رائعٌ و دقيقٌ من ابواب البيان و هو اشراب فعلٍ معنى فعلٍ غيره و فائدته ان يدل بكلمه واحده على معنى كلمتين؛ اسلوب التضمنين احد ابرز اساليب العرب التي يمكن حمل كثير من الآيات القرآنية عليه دون تكلف.

«والسّلام على من اتبع الهدى»

المصادر و المراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- نهج البلاغة
- ٣- ابن ابي الاصبغ، ابو محمد. ١٩٩٥م. تحرير التحبير. القاهرة: دارالتعاون
- ٤- ابن الأثير، ابي الفتح ضياء الدين نصرالله. ١٩٩٥م. المثل السائر. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة المصرية.
- ٥- ابن فارس. ابي الحسين. ١٩٧٩م. معجم مقاييس في اللغة. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. بيروت: دارالفكر.
- ٦- ابن منظور، محمد بن مكرم. ١٤١٤ هـ: لسان العرب. ط ٣. بيروت: دارالصادر.
- ٧- ابن هشام الانصاري، جمال الدين. ١٩٨٥م. مغنى اللبيب. تحقيق عدنان درويش و محمد المصري. بيروت: دارالفكر.
- ٨- الباقلائي، ابوبكر محمد. لاتا. اعجاز القرآن. تحقيق سيد احمد صقر. القاهرة: دارالمعارف.

- ٩-البطليوسى، ابن سيد. ١٩٩٩م. الاقتضاب. تحقيق محمد باسل عيون السود. ط ١. بيروت: دارالكتب العلمية.
- ١٠-الجرجاني، محمد بن على بن محمد. لاتا. الاشارات و التنبيهات. تحقيق عبدالقاهر حسين. القاهرة: دار النهضة
- ١١- الجوهري، اسماعيل بن حماد. ١٩٩٠م. الصحاح. ط ٤. بيروت: دارالعلم للملايين.
- ١٢- حسن، عباس. ١٩٧٥م. النحو الوافى. ط ٥. القاهرة: دارالمعارف.
- ١٣- الحموى، ابن الحجة. ١٩٨٧م. خزانة الادب. تحقيق عصام شعيتو. بيروت: دار مكتبة الهلال.
- ١٤- الخفاجى، محمد بن عبدالله بن سنان. ١٤٠٢ هـ. سرالفصاحة. ط ١. بيروت: دارالكتب العلمية.
- ١٥- ذيبانى، نابغه. ١٩٦٣م. ديوان. تحقيق كرم بستانى. بيروت: دارالصادر.
- ١٦- الزبيدى، محمد مرتضى. ١٩٩٤م. تاج العروس. تحقيق على شيرى. بيروت: دارالفكر.
- ١٧- الزركشى، محمد بن بهادر. ١٣٩١ هـ. البرهان فى علوم القرآن. تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم. بيروت: دارالمعرفة
- ١٨- الزمخشري، جارالله. ١٤٠٧ هـ. الكشاف. بيروت: دارالكتاب العربى.
- ١٩- السكاكى، ابويقوب. ١٩٣٧م. مفتاح العلوم. ط ١. مصر: مطبعة مصطفى البابى الحلبي.
- ٢٠- السيوطى، جلال الدين. ١٤٠٧ هـ. الاتقان. تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.
- ٢١- _____ ، _____ . ١٩٨٠م. المزهر. تحقيق محمد احمد جادالمولى. بيروت: دارالفكر.
- ٢٢- _____ ، _____ . ٢٠٠٤م. معجم مقاليد العلوم. تحقيق ا.د محمد ابراهيم عباده. ط ١. القاهرة: مكتبة الآداب.
- ٢٣- الشريف الجرجاني، على بن محمد بن على. ١٣٩٢ هـ. حاشية الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف. مصر: مطبعة مصطفى البابى الحلبي.
- ٢٤- طبانه، بدوى. البيان العربى. ط ٦. القاهرة: مكتبة الأنجلو.
- ٢٥- العسكري، ابو هلال. ١٩٨١م. الصناعتين. تحقيق مفيد قميحة. بيروت: دارالكتب العلمية.

- ٢٦- العكبرى، ابوالبقاء. ١٩٧٦م. التبيان فى اعراب القرآن. تحقيق على محمد البجاوى. القاهرة: داراحياء الكتب العربية.
- ٢٧- عمر بن ابى ربيعه. ١٣٨٤ هـ. ديوان. تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد. مطبعة المدنى
- ٢٨- قدامة بن جعفر، ابوالفرج. ١٩٧٨م. نقد الشعر. تحقيق عبدالمنعم خفاجى. ط ١. القاهرة: مكتبة الأزهرية
- ٢٩- القزوينى، خطيب. ١٣٧٨ش. تلخيص المفتاح. ط ١٠. قم: دارالحكمة
- ٣٠- القيروانى، ابن رشيق. ١٩٨١م. العمدة فى محاسن الشعر و آدابه و نقده. تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد. ط ٥. بيروت: دارالجيل للنشر و التوزيع.
- ٣١- الكفومى، ابوالبقاء. ١٩٩٨م. معجم فى المصطلحات و الفروق اللغوية. تحقيق عدنان درويش و محمد المصرى. بيروت: مؤسسة الرسالة
- ٣٢- النويرى، شهاب الدين. ٢٠٠٤م. نهاية الأدب فى فنون الأدب. تحقيق مفيد قمحية و جماعة. ط ١. بيروت: دارالكتب العلمية.

الرسائل الجامعية:

- ابن سالم الحبشى، حسين بن علوى. ١٤٢٥ هـ. نزع الخافض فى الدرر النحوى. (رسالة الدكتوراه). جامعة حضرموت. كلية اللغة العربية و آدابها.

المجَلَّات:

- احمد العزام، هاشم. ١٤٢٨ هـ. مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابها. ج ١٩.